ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:**08**، العدد: **01 (2023)** **ص 218 - 227**

اللّغةُ العربيةُ بين التّحديات القطبية للفرانكفونية والأنجلوفونية وانعكاسات العولمة على المستقبل اللّغوي العربي

The Arabic language between the polar challenges of La Francophonie and anglophonie and the implications of globalization for the Arabic linguistic future.

زاوش محفـــــوظ*
جامعة علي لونيسي البليدة 2 (الجزائر)
em.zaouche@univ-blida2.dz

د: عمـــــر برداوي
جامعة علي لونيسي البليدة2 (الجزائر)
omarberd09@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/04/20
تاريخ القبول:
2022/11/23
تاريخ النشر:
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **اللغة العربية**
- ✓ **الفرنكوفونيّة**
- ✓ **الأنجلوفونيّة**
- ✓ **الواقع اللّغوي**
- ✓ **الآفاق اللّغوية**

الملخص:

في ظلّ العولمة والثورة الاتصالية المعاصرة التي تخطت الحدود الإقليمية للدّول والتكتلات العالمية، وانعكاساتها على خصوصيات المجتمعات والأمم، صار لزاما إقامة مصدّاتٍ متينة أمام هذا المدّ المتنامي بانعكاساته السّلبية المتعددة على الوطن العربي على مختلف الأصعدة، خاصة على مستوى عناصر الهوية والمقومات، وتأتي اللّغةُ العربية في مُقدمة هذه المقوّمات؛ والتي أصبحت مهددةً بتنامي خطر أعدائها، وتعدد ضرّاتها؛ فاللّغة الإنجليزية تواصل مسيرة السيطرة على الألسن العِلمية والتكنولوجية ممّا يفتح الآفاق أمام انتشارها كلغة أولى في العالم، واللغة الفرنسية تمُدُّ أصولها في المستعمرات الإفريقية، دون أنْ نُغفِل تأثير اللّهجات المتعددة للّغة العربية على اتساع رقعة الناطقين بها.

انطلاقا من هذه المؤثرات تأتي هذه الدراسة لتبحث في واقع اللّغةِ العربية والتحديات التي تواجهها اليوم، وبالنظر إلى الخصوصيات اللّسانية وثراء القاموسي الموسوعي للّغة العربية وقدرتها على الانفتاح اللغوي والاستفادة من الدرس اللساني المعاصر فإنَّ البحث يستشرفُ مستقبلا مطمئنا وصدارة لسانية عالمية.

Article info

Received
20 / 04 /2022
Accepted
23/11/2022

Keywords:
- ✓ *Arabic language*
- ✓ *Francophone*
- ✓ *Anglophone*
- ✓ *Language reality*
- ✓ *Language prospects*

Abstract :

Abstract:

On the light of globalization and modern telecommunication development which extended over regional borders of countries or worldwide lobbies and its reflects on nations and communities , it becomes an obligation to create a Strong resistance against this growing extension with its negative impact on

Arab world , in various spheres mainly the issues of identity and the nation's components such as Arabic language which is threatened by enemies and other vital languages like English which continues to lead science , technology and tongs . Moreover , the French language is widespread in Africa as a colonial hiritage besides to other Arabic dialects . On the basis of the previous factors , my humble research comes to focus on the situation and challenges that are facing Arabic language.

Concluding the research by predicting the future of Arabic language relying on the richness of Arabic vocabulary and linguistics , The research predicts a prosperous future for Arabic .

*زاوش محفوظ

1. مقدمة

تعدُّ اللّغة ظاهرةً إنسانيةً تحمل في مضامينها بذور الفكر الحضاري الإنساني، ولاشك في أنّه منذ وُجد الإنسان على ظهر البسيطة إلى اليوم واللّغةُ تشكِّل قاموسَها اللّغوي (اللّفظ والدلالة) عبرَ حركة التواصل البشري وتفاعل الأفراد، <<لأنَ اللّغة لا تولدُ مع الإنسان فهو يولد خاليا من المعارف، والشيء الذي يولد معه لاكتساب هذا التراكم اللغوي الموروث هو الاستعدادات والوسائل الفطرية والحسية>>(لعموري عليش، 2005. ص:114)، وبما أنَّ اللّغةَ ظاهرة إنسانية فإنّها تتأثّر بكل العوامل المحيطة بالإنسان، وبمدى قدرته على مسايرة التّحولات المختلفة لفرض وجوده كإنسان فاعل في الوجود الكوني، ولا شكّ في أنّ ذلك ينعكس على لغته سلبا أو إيجابا، وانطلاقا من كون العالم المعاصر يشهد ثورات مختلفة الأشكال متنوعة الأبعاد فإنَّ اللّغة العربية ليست بمنأى عن هذا الواقع الجديد، وهو ما يجعلنا الدّراسة تطرح التساؤلات الآتية: ما موقع اللغة العربية بين لغات العالم اليوم؟ هل تمتلك اللّغة العربية المقوّمات التي تؤهلها للصمود أمام المدِّ الفرنكفوني المستعمِر والمدِّ الأنجلوفوني العِلمي والتكنولوجي الصّناعي؟ وما مدى استعداد القائمين عليها لترقيتها ومواجهة مختلف التحديات؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها تنطلق الدراسة من إبراز مكانة اللّغة العربية بين اللّغات العالمية، ثم عرض التّحدّيات الأنجلوفونية والفرنكفونية، وتحدّيات العولمة والثّورة الاتّصالية المعاصرة، وأخيرا استشراف الآفاق المستقبلية للّغة العربية، لرصد الواقع اللّغوي وما يمكن اقتراحه في سبيل ترقية الفعل اللّغوي العربي، والحفاظ على خصوصية اللّسان العربي، وتوحيد الجهود لاستغلال إمكانات العولمة بغية تجنب الآثار السّلبية التي يمكن أنّ تنجرّ على اللّغة العربية، فتشتّت الوحدة اللّغوية، التي تعدُّ من عوامل الوَحدة القومية.

2.اللّغة

1.2 تعريف اللّغة:

إنَّ اللغة <<قدرةٌ ذهنيّةٌ مكتسبةٌ يمثّلها نسقٌ يتكوّن من رموز اعتباطية منطوقةٍ يتواصلُ بها أفراد مجتمع ما>>(المعنوق، 1996.ص:32) ويعرفها ابن جني(المتوفى 392هـ (في كتاب الخصائص) بقوله:<<أمّا حدُّها فإنها أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم>>(ابن جني، ص:33) فتعريفه يلقى القبول باعتباره يركِّز على الجوانب الأساسية للِّغة (الطبيعة الصوتية، الاجتماعية، الوظيفية).

أمّا **دوسوسير** فيرى أن <<اللغة نظام من العلامات أو الإشارات للتعبير عن الأفكار، وهي ظاهرةٌ أو حقيقةٌ اجتماعية>>(فلوح، 2020ص:41)، وتقوم نظرتُه العلمية للّغة على مبدأ مهم هو اعتبار اللّغة نظاما له مكوّناته المتكاملة وعلاقاته المترابطة ممّا يبرز قوَّةَ الإنسان على استخدام اللّغة، من خلال تعريف **"ابن جني"** و**"دوسوسير"** وغيرهما تتجلى بعض خصائص اللّغة باعتبارها ظاهرةً بشريةً تميّز الإنسانَ عن الحيوان، ونظاما متكاملا ومنظومةً من الرّموز مكتسبة عن طريق الممارسة والاحتكاك والتعلم، ذات طبيعة صوتية منطوقة أو مسموعة، إضافة إلى أنها اعتباطيةٌ تخضع للعرف.

2.2 أهميّة اللّغة

اللّغة ذاكرة الشّعوب والجهاز الذي يحفظ التّاريخ والتراث، ومن زاوية البراغماتية فإنَّ للّغة وظيفةً أساسية تتمثل في تحقيق الاتصال والتواصل بين الأفراد الناطقين بها، أيْ أنَّها وسيلة الإنسان لتحقيق أغراضه المختلفة كالتعبير عن حاجاته وأحاسيسه ومواقفه في الحياة، وتخرج عن هذه الغايات البراغماتية إلى الغايات الأدبية والفنّية، إذْ هي حاجات مكمِّلة لتكوين الشّخصية الإنسانية، وقد حدّد **"رومان جاكوبسون"** هذه الوظائف فجعلها ستة؛ هي: "الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية **(fonction émotive)**،الوظيفة الندائية **(fonction**

(conative)، وظيفة إقامة الاتصال **(fonction phatique)**، وظيفة ما وراء اللّغة **(fonction métalinguistique)**، الوظيفة المرجعية **(fonction référentielle)**، الوظيفة الشعرية **(fonction poétique)**" (الطبال بركة، 1993. ص: 66-67).

3.مكانة اللّغة العربية بين لغات العالم

يمكن الاستدلال على مكانة اللّغة العربية باعتبارها انتقلت من القومية إلى العالمية بقول الأديبة **مي زيادة** <<لقد عُدّت اليونانية واللاتينية في صفِّ اللّغات الميتة منذ سقوط مَدَنِيتيهما، فما الذي حفظ العربية حيّة بعد زوال المدَنية العربية بقرون سبعةٍ؟ إنَّ الذي كان باعثا على تكوين المدَنية العربية هو الذي مازال حافظها إلى اليوم، هو القرآن، لذلك ستظلُّ العربية حيَّة ما دام الإسلام حيا>>(القوصي، 2016. ص: 121).

وعن فضل القرآن على اللّغة عموما وفي توحيد اللّهجات خصوصا يقول **طه حسين** في تقديمه لكتاب "أثار القرآن في اللغة العربية" للشيخ أحمد حسن الباقوري <<القرآن الكريم هو الذي وحّد اللّغة العربية الأدبية بعد أن كانت تختلف لهجاتها باختلاف القبائل، وفضلُ القرآن إثر نزوله هو أنّه جعل لغته لغة أدبية للعرب جميعا، ثم لغير العرب من الأمم التي خضعت لسلطان الأمة العربية بعد الفتح... بل قد أثَّر في لغات حيّة منتشرة فأخفاها القرآن من البلاد الإسلامية وأتاح للعربية أن تستأثر بألسنة الناس وأقلامهم... فما أكثر الفرس الذين استعربوا... وما أكثر الفرس الذين أصبحوا شعراءَ...كذلك كان شأنُ اليونانية في الشرق الأدنى>>(القوصي، 2016. ص: 121).

إن آراءَ **طه حسين** في هذا المقتطف تحيل إلى البحث التاريخي عن علاقة العرب بالأمم الأخرى أثناء الفتح الإسلامي إذ بعد دخول المسلمين إلى البلاد غيرِ العربيةِ وجدوا حضاراتٍ راقيةً تُصاحبُها لغاتٌ مختلفة متطورة في أمرِ الإدارة والتّسيير والاتّصال، فبدأ العربُ في تعليم اللّغة العربية وتركوا الشؤون الإدارية تسير باللّغات الأصلية لأنَّ العربيةَ لم تكن متعوِّدة على ممارسة الأمور المالية والتّسيير إضافة إلى الانشغال بنشر الإسلام ومقارعة الأعداء على الحدود، واستمرَ هذا الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان الأموي الذي كان له فضلُ تعريب الإدارة الحكومية (الدواوين) وهو عملٌ جبار أصيلٌ لتدارك وضعية اللّغة العربية إداريا ولغويا وعلميا، هذه الخطوة وغيرها ممّا قام به الخلفاء أتاحت للعربية أن تتسيّد البقاع المفتوحة، بل وفتحت المجال لغير المسلمين أن يتعلموها حتى يسهلَ عليهم التّواصل مع العالم الإسلامي ونفوذه إمّا لتحقيق الأغراض الاقتصادية وإمّا للسّعي إلى تفادي المدِّ الإسلامي، ممّا جعل الفرسَ والرومَ يتقنون العربية ويبرعون فيها، ولا يُنكَر فضلُ هؤلاء في تكوين علوم العربية وهو إجراء يحيل إلى تقبُّلهم لهذه اللّغة وإعجابهم بها لغةً بديلة؛ لها من الخصائص والأسرار ما يؤهلُها لمواكبة الانتشار المذهل للإسلام باعتبارها حاملةً لواءَ القرآن والفكر الجديد والشريعة القويمة، بالإضافة إلى تعريب الدواوين برزت حركةُ تقعيد اللّغة العربية والتي نشطت أواخر القرن الأول الهجري وعلى مدى ثلاثة قرون متتالية لحفظ القرآن من التحريف واللّغة من اللّحن، فنشأ علمُ النحو على يد أبي الأسود الدؤلي والكسائي والفراء وسيبويه وغيرهم، ثم جاءت حركة الترجمة إلى العربية في عهد الخليفة المأمون إذ مهّدت الترجمةُ طريقَ العالمية طوال العصور الوسطى نظير احتفاء الخلفاء باللّغة العربية مما أغنى العربية بكثير من العلوم(الفلسفة، الطب، الفلك...) فوسَّعَت دائرة المعارف وأغنت القاموس الموسوعي للعربية، تلك الجهود وغيرُها جعلت اللّسانَ العربي يسود العالم عدة قرون من خلال قوَّة الحضارة العربية الإسلامية، وقدرة اللّغة على مواكبة التحولات الجديدة (السياسية، العلمية، الثقافية).

4.عالمية اللّغة العربية

اكتسبت اللّغة العربية عالميتَها باعتبارها حاملةَ الرّسالة السّماوية الخالدة، فهي لغةُ الإسلام وكلّ مَن يدخل الإسلام من غير العرب، لقد حباها الله بهذا الفضل العظيم، أنْ جعل المعجزةَ الخالدة للكون بلسان حرفها الجليل، إنّها تتجاوز الأقطارَ العربية وتستقرُّ في قلب كلِّ مسلم ولو لم يكن عربيا؛ لأنّه يؤدي شعائرَه بلسان عربي مبين، لذلك فتعلُّمُها وتعليمُها يعدُّ في نظر الكثير عبادةً، بل يقدِّمُها بعضُهم على تعلّم القرآن لأنّها وسيلتُه الأولى لتدارس آياته وفهم مكنوناته واكتشاف إعجازه وبلاغته، إنّها محفوظةٌ من التضييع والتفريط والانقراض ما دامت رسالةُ الدين خالدةً، والمقبلون عليها في تزايد، وإنَّ لها من الخصائص الصوتية والصّرفية والاشتقاقية ما يضمنُ خلودَها عبر الزمن، ثم إنَّ متعلِّمَها لا يبتغي منفعةً مادية أو سياسية أو مكانة أو جاها، إنَّه معجب بتكاملها مع عقيدة التوحيد في تناغم فريد، بين الصّوت والقصد بين الحرف والشّعيرة، بين الكلمة وعظيم الجزاء، وهذه الأسرار وغيرها ممّا يعلَمُه أهل الاختصاص وعلماء اللّغة واللّسانيات تغيب عن معظم لغات العالم، ومن يقارن بين العربية والانجليزية مثلا يجد أن عُمْرَ اللّغة الإنجليزية يقارب الألف سنةٍ، بينما للعربية جذور ضاربة في عمق التّاريخ ولمن أراد دليلا فليتبصر الشّعرَ الجاهلي وعظيمَ لغته وأسرار بيانه، يجدْ أنَّ العربية حفظت قاموسَها من التغيير وجذور مفرداتها من الموت والاندثار، ثم إنَّ الإنجليزية تتغير وتتبدل مع كل عهد << إنَّ اللّغة الإنجليزية هي لغة العالم في الوقت الراهن، هذا صحيح، لا مِراء فيه ولا جدال... ولكنّنا نريد أن تكونَ اللّغة عالمية دائما، لا لفترة محدودة....إنَّ لغةَ الملك (ألفريد) غيرُ لغة (شكسبير) ولغة (شكسبير) غير اللّغة التي يتكلّمها (جيفري تشوسر).... وبعبارة أدق: إنَّ إنجليزية الأزمان التالية تغيرت تغيرا جذريا عن إنجليزية الأزمنة الأولى >>(جاسم، 2016. ص:489-490).

5 . التحديات الفرنكفونية والأنجلوفونية

إن مصطلح التحديات التي تواجه العربية يحيل إلى المزاحمة التي تتعرض لها اللّغة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذ بعد أنْ فرضت العربية نفسها لغة العلم والحضارة، اللّغة التي يهُبُّ غير الناطقين بها إلى تعلّمها، بل وتعليم العلوم بلسانها هي الآن تشهد تراجعا رهيبا على مستوى المكانة العالمية، وإنْ اتسعت دائرة الناطقين بها، ممّا يدفع إلى التساؤل متى بدأت حركة التقهقر اللّغوي؟ وما عواملها؟ وما اللّغات التي تزاحمُ العربيةَ وتسعى لفرض وجودها بين ألسنة العالم؟.

لقد شهدت الأمةُ العربية تراجعا رهيبا منذ أصبحت عرضةً للغزو الأجنبي بدءا من القرن الثالث عشر الميلادي بعد تفكك الدولة العباسية ووقوعها فريسةً في يد المغول والتتار، فانعكس هذا الوضع على اللّغة العربية لأنّ اللّغة ظاهرةٌ اجتماعية ترتقي برقي المجتمع وتضعف بضعفه، فلم تكن الظروف السياسية والاقتصادية مناسبةً لاستمرار التطور والسيادة ممّا جعل المجتمع العربي يعيش حالة من الانغلاق والجمود، وبقيت الجهود محصورة في جمع اللّغة في المعاجم أو تبويب مفرداتها، وهي جهود ـ على محدوديتها ـ أسهمت في الحفاظ على اللّغة لا يمكن أن يُنكَر فضلها وفضل القائمين بها من أمثال **ابن منظور** "صاحب لسان العرب" و**الفيروزبادي** صاحب "القاموس المحيط" وغيرهما كثير.

وقد حاولت اللّغة ـ على غرار المجتمع العربي ـ تدارك التأخر ونفض الغبار ورفض الدّوْر الهامشي في العالم والتطلُّع إلى استعادة المجد والدور الريادي في الحضارة الإنسانية لكنَّها كانت تواجه تحدِّيات كثيرة بعد الاستعمار العسكري، ومن هذه التحديات:

5ـ 1ـ الفرانكفونية:

تشيرُ الكلمة بمعناها البسيط المباشر إلى<< مجموعة من المؤسسات التي تُعْنى باللّغة الفرنسية ومُتَكلِميها سواء كلغة أُمٍ أوْ كلغة ثانية، وذلك بهدف تعزيز دورها والحفاظ عليها، والمساهمة في إبراز إيجابياتها على الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية>>(الشوتري، 2011. ص: 08).

وهناك من الدارسين من يرى أنَّ الفرنكفونيةَ حركةٌ ذاتُ بُعد أيديولوجي تهدف إلى تخليد لغة المستعمر الفرنسي من أجل استرجاع أمجادها في مستعمراتها القديمة في إفريقيا والمغرب العربي على وجه الخصوص، في خطةٍ لاستمرار الحضور الفرنسي وربط مصير المستعمرات بها.

إنَّه من النّاحية التاريخية يعود المصطلح إلى **أنيزيم ريكلوس Onesume reclus** الذي أطلقه سنة1871 لكنه ظلَّ مغمورا حتى عملت فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين على بعث النزعة الأدبية لدى فئة الحكام الأفارقة الموالين من أمثال رئيس السنغال (ليوبولد سانغور والتونسي بورقيبة والنيجيري حماني ديوري) وفي ذلك يقول **بورقيبة**: <<إنني أنا الذي تزعمتُ الحركةَ المنادية بالفرانكفونية، فالرابطة اللّغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الإفريقية أمْتَن من روابط المناخ والجغرافيا>>(واعلي، 2017. ص:180).

5- 2- أشكال الفرنكفونية

5- 2- 1- الجبهة الرسمية: وتقوم على ربط الدول التي لها علاقة بالفرانكفونية بأطرٍ سياسية تشرفُ عليها فرنسا، فتقوم بتوجيه السياسات العليا لتلك الدول بما يخدم المصالح الفرنسية.

5- 2- 2 - الجبهة الشعبية: تستغل فرنسا بعض المؤسسات ذات الأنشطة الثقافية لخدمة الفرنكفونية ودعمها ماديا من خلال تشجيع الإنتاج الثقافي والفني، ومنها المراكز الثقافية الفرنسية...

إنَّ فرنسا الاستعمارية التي استأثرت بخيرات القارة الإفريقية وبعدَ حركات التحرر واستقلال معظم مستعمراتها لجأت إلى خطة بديلة تبدأ من تدخُّلها في تنصيب الحكام الموالين لها على رأس مستعمراتها، كما فعلت في السنغال؛ فقد كان **"سانغور"** خريجَ الأكاديمية الفرنسية، وسعت إلى فرض لغتها وترسيخها من خلال الأكاديمية التي تعدُّ بداية التأسيس للمراكز الثقافية الفرنسية لتتحول إلى الاستعمار الثقافي؛ الذي يمرُّ عبر الاختراق اللّغوي، لتحقيق مآربها لذلك كثفت أنشطتها المنظمَة للاستيلاء على اللّسان العربي على وجه الخصوص (المغرب العربي) بدءا بانعقاد المؤتمر الأول لوزراء التربية والتعليم في فرنسا وإفريقيا حيث تبلور مفهوم الفرنكفونية نظريا ومنهجيا (1960) إلى تأسيس اتحاد الجامعات الناطقة بالفرنسة (1961) ثم تأسيس الجمعية العالمية للكتّاب باللّغة الفرنسية(1966).

تلك الجهودُ المنظمةُ لفرنسا لها أهدافٌ بعيدة المدى؛ تستخدِمُ سلاح اللّغة باعتبارها الرابط الجامع لأفراد الأمّة الواحدة، ودخول اللّغة الفرنسية سيقوِّض هذا الرابط المتين ويخلق تشتتا لسانيا في بادئ الأمر، ثم تداخلا لغويا يؤدي إلى تضعضع اللّغة الأمِّ وتقهقرها تدريجيا باعتبار المغلوب مولع عادة ـ على رأي ابن خلدون ـ بتقليد الغالب، وقد نجحت فرنسا في هذا المخطط الخبيث منذ استعمارها لدول المغرب العربي، فقد جعلت مستعمراتها تعيش غربة لغوية في بلدانها، وخاصة حين قامت بتشجيع الساسة وأهل الحل والعقد وقدمت لهم الامتيازات، وفرضت نفوذها على هيئاتهم الحكومية ودوائرهم الوزارية فصارت المراسلات الإدارية بلغة موليير، بل وصل الحد إلى التدخل في برامج التعليم وأدلجة المنظومات العربية، مثلما حدث في الجزائر خصوصا حيث صارت الفرنسية لغة موازية ومنافسة للعربية، فضاع اللسان العربي المبين بين لهجات متعددة وفرنسية متحكمة بعد مائة وثلاثين سنة من الاستعمار، بل إنَّ المدَّ الفرنكفوني تعدى المجال السياسي

والأكاديمي إلى المجال الإبداعي، فقد شجعت فرنسا الكتابَ العربَ (خاصة الجزائريين والمغاربة) الذين يكتبون بلغتها وكافأت الكثير منهم وأسهمت في نشر أعمالهم، وهو ما طرح جدلا تجاوز حدود اللغة إلى التشكيك في الهوية، وأثار الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، مما جعل كثيرا من الكتاب الجزائريين من أمثال **آسيا جبار** وَ**مالك حداد** يدافعون عن وطنيتهم ويبررون لجوءهم إلى اللغة الفرنسية التي فرضتها الظروف، وفي ذلك يقول مالك حداد: << أنا الذي أغني باللغة الفرنسية، أنا الشاعر، يا صديقي يجب أن تفهمني جيدا إذا ما كانت لغتي تثيرك، لقد أراد الاستعمار ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النَقص، ألاّ أستطيع أنْ أُعبِّر بلغتي>>(محمد خضر، د ت. ص: 205)، هذا القول يثبت الصراع الذي أسهمت فيه الفرنكفونية، ويبرز خطرها في تفتيت الوحدة الوطنية، وعمق تأثيرها على اللسان العربي.

إنَّ المد الفرنكفوني توسع حديثا إلى تشجيع اللهجات المحلية لتصبح ضرَّة للّغة الأم، ثم تطور الأمر لتشجيع التقعيد لهذه اللهجات بالحرف اللاتيني والفرنسي خصوصا، ولنا في الجزائر تجربة مريرة مع محاولات التأسيس للأمازيغية بالحرف اللاتيني، وهذه الخطوة ذاتُ أثرٍ شديدِ الخطورة على الوحدة الوطنية واللغوية؛ قد خلقت جوا مضطربا مشحونا بنزعة الجهوية والعرقية، وهي من الأهداف الاستعمارية للفرانكفونية.

5ـ 3ـ الفرنكفونية سلاح لغوي ضد اللغة الأصلية

يتلخص خطر الفرنكفونية باعتبارها سلاحا لغويا بأهداف تبدأ بتقويض اللسان الأصلي إلى تفكيك بُـنى الدول سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ممّا يبرز عدم الحاجة اليوم إلى الاستعمار العسكري، لقد << عملت الفرنكفونية بكل الوسائل المتاحة لديها على تنحية اللغة العربية والقضاء على الثقافة العربية والحضارة الإسلامية في نفوس وواقع الشعوب بهدف إلحاقها بالثقافة والحضارة الفرنسية>>(النمري، 1423ه. ص 40).

6ـ الأنجلوفونية

يقصد بالكلمة الدول الناطقة بالإنجليزية كلغة أساسية أو لغة ثانية، ولقد سارت انجلترا في ركب الدول الاستعمارية بعد أنْ تهيأت لها الظروف، فسارعت إلى احتلال كثير من البلدان الضعيفة، وإخضاعها إلى سلطتها، فسعت إلى بناء الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، ولم يكن احتلالها عسكريا فقط بل تعداه إلى الاحتلال الثقافي واللغوي، إذْ سعت إلى بناء المدارس لتعليم الانجليزية للموظفين والإداريين لبسط هيمنتها على الإدارة، ثم تعليم السّكان لتحقيق التواصل مع مستعمراتها، وفرض الثقافة الانجليزية والذوق الانجليزي، وإثارة النعرات المحلية بتشجيع الصراع بين اللهجات المحلية، والتشكيك في قدرة تلك اللهجات على تحقيق التواصل، ممّا يبعث على البحث عن البديل اللغوي، وهذا ما جعل الانجليزية إرثا كلونياليا بامتياز، امتدَّ إلى ثقافة الأجيال إلى ما بعد المرحلة الكلونيالية.

سارت بريطانيا على الخطى الاستعمارية الفرنسية ببسط هيمنتها الثقافية على مستعمراتها بعد خروجها ومنح الاستقلال أو بعد إخضاعها للانتداب، غير أنَّ الدارسين للحركة الاستعمارية يرون أنَّ الطريقة الاستعمارية الانجليزية أكثر تحضرا من نظيرتها الفرنسية، ويتجلى ذلك في إنشاء منظمة الكومنولث - **The Commonwealth** وتعني هذه الكلمة الثروة المشتركة، وهي في الأصل منظمة متداخلة الحكومات تتكون من ثلاث وخمسين دولة مستقلة وقد كانت كلها مستعمرات بريطانية ماعدا الموزمبيق وروندا وقد حصلت على استقلالها، ومن أهداف هذه المنظمة التي اجتمعت أول الأمر بسنغافورة سنة 1971م إقامة ميثاق السلام العالمي وترقية التمثيل الديمقراطي والحرية الفردية، والسعي وراء تحقيق العدالة، ومناهضة العنصرية ومحاربة

الجهل والفقر، وهي أهداف سامية الغايات يمكن أنْ يتحقق بعضُها بالتكتلات الدولية التي تفرض الالتزام بالمواثيق والعهود، خلاف ما هو معروف عن أحادية القرار في الفرانكفونية.

إنَّ نهاية الحرب العالمية الثانية جعلت الدول تسعى إلى إعادة بناء نفسها وتطوير قدراتها، ممّا جعل أمريكا التي استلمت مشعل الأنجلوفونيا بعد تراجع دور بريطانيا إلى إرسال التقنيات والتكنولوجيات الجديدة إلى حلفائها من الدول الأوروبية خاصة، ومن خلال هذه الدول إلى العرب، وإرسال الخطط والتقنيات باللغة الإنجليزية، وهو ما يتطلبُ من التقنيين تعلمَ اللغة الإنجليزية، وتطورَ الأمرُ فأصبحت الإنجليزية هي اللغة الجامعة للمشاركين في التجمعات الرئيسة مثل منظمة الكومنولث، رابطة جنوب شرق آسيا، المجلس الأوروبي، حلف الأطلسي ...

لقد فرضت القوة الأمريكية وجودها على مختلف مناحي الحياة (عسكريا، اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا، إعلاميا) مضافا إليها الإرث البريطاني وثقافته وذوقه المتميز، كل ذلك أهَّلَ الإنجليزية لتصبح لسان العالم الأول، فصار المدُّ الأنجلوفوني مقابلا للفرنكفوني ومتفوقا عليه.

وأصبحت الأنجلوفونية أو المد اللغوي الانجليزي لغير الناطقين بها يمتدُّ ويتوسع نظرا لحاجة الأمم إلى لغة متداولة على أكبر الأصعدة العالمية لتحقيق غاياتها الاقتصادية، نظرا لقوة هذه اللغة اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا، رغم محدودية خصائصها اللغوية، كلُّ ذلك جعل اللغة العربية حبيسة موطنها العربي، وهذا الانكفاء والانكماش على الذات اللغوية لا يعود لضعف في اللغة نفسِها، وإنما للظروف الاقتصادية والثورة التكنولوجية العالمية التي ملكتِ الدولُ العظمى ناصيتَها ونقصد الناطقة بالإنجليزية (بريطانيا وأمريكا وغريهما).

إن سيطرة الأنجلوفونيا على المجال الثقافي جعل التهافتَ على اللغة الإنجليزية من طرف الهيئات والمنظمات والأفراد غير خافٍ على أحد، فمثلا في حقل الأدب صار الميلُ واضحا إلى الإبداع باللغة الإنجليزية والتحول عن الكتابة باللغة الفرنسية تحقيقا للعالمية ورغبة في نيل الجوائز التي تمنح بدعم أنجلوفوني، إذْ يعد الإبداعُ الأدبي والفني فضاءً مناسبا لاستخدام اللغة يكاد يكون منافسا للاستخدام الاقتصادي أو السياسي.

7ـ العربية وتحديات العولمة

تتأسس العولمةُ على العقل الإلكتروني وما توصل إليه من ثورة معلوماتية لا تلتفت إلى طبيعة الأنظمة أو مكانة الحضارات أو أصلها، أو نوعية القيم، وهي تلغي الحدود الجغرافية والسياسية مما يفتح الباب واسعا للتأثيرات المختلفة على الفكر الإنساني واللّسان المحلي، ويفرض مقامُ الدراسة هنا البحثَ في تأثيرات العولمة على اللّغة العربية، فالعولمة سلاح ذو حدّين، وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل الآتي: إلى أيّ مدى استفادت اللّغة العربية من الثورة العلمية والتكنولوجية؟ وما السبيل الأمثل للحفاظ على خصوصية اللّغة العربية؟

7ـ 1ـ الانعكاس السلبي للعولمة على اللغة العربية

إنَّ اللغة مظهر من مظاهر المجتمع، وصورة تُنْبئ عن حالته، والأمّةُ العربية في عصر العولمة تعاني عجزا على مواكبة الثورة العلمية والتكنولوجية، وتأخرا كبيرا في تطبيق التقنية واستغلالها في النهضة المنشودة، كون البنية التحتية لكثير من الدول العربية مهترئة، لذلك لم تستطع فرضَ لغتها لتكون الأنسبَ لهذه الثورة الجديدة، ممّا أهَل اللغةَ الإنجليزية لتكون لغةَ العالم الجديد، بسطت سطوتها وتفوقها على الساحة اللغوية، وامتدّ استعمالها

إلى الحدود الجغرافية للغة العربية فأثر سلبا عليها وعلى الناطقين بها، لأن أغلب المفاهيم الثقافية والفكرية ومصطلحات المجالات المختلفة (الأدبية، النقدية، الاقتصادية...) التي جادت بها العولمة تُغني القاموس الأجنبي وتفرضه على القاموس العربي فرضا.

ونتيجة للاحتكاك المباشر وغير المباشر عن طريق وسائل التواصل الحديثة برزت نماذج جديدة من التراكيب الهجينة أو الجديدة الغريبة عن القاموس العربي، فمنها ما أصبح يستخدم عربيا بلغته الأم (التلفون، الفاكس...) ومنها ما لا يخضع لقواعد التوليد أو الصياغة العربية (الإلكترونيات، الاستراتيجيات...) كما شاعت الأسماء الإنجليزية الخاصة بميادين الطب والأدوية والأطعمة والأزياء والشركات ...، فقد جعل بعضها القائمين على المجامع اللّغوية يجتهدون في إيجاد المسمَّيات الأنسب له، أو محاولة مقاربة الأسماء التي تدل على الأشياء، أمّا في ميدان النّقد فحدِّث ولا حرج عن مشكلة المصطلح، إذْ يقع الاتفاق حينا، ويكثر الاختلاف في أغلب الأحيان، ممّا يفتح باب الخلاف على مصراعيه، فمنهم من كان مسايرا للجديد وسمح باستخدام المصطلح الوافد دون تغيير أو محاولة مقاربته، ومنهم المتعصبُ للأصول وقواعد النَّحت العربية وطرق الاشتقاق؛ الذي يرفض قطعا تحطيم الأصول في اختراع المسميات، هذه الوضعية المعقّدة خلقت بيئة من الانفصال وعدم التقارب اللّغوي، فراح كلٌ يمارس قناعاته على مستوى التنظير والتأليف، الأمر الذي خلق فوضى مصطلحية تضاف إلى الحرب المُعلنة وغير المعلنة في باب المصطلح وأبواب الحرب النفسية الهادفة إلى التشكيك في الأصول وتزرع بذور الوهن، وخلق مشكل الازدواجية اللّغوية، والتي تمارسها دوائر رسمية غربية عن طريق جمعيات وهيئات متعددة الهوى والهوية حينا، وبأيدٍ محلية حينا أخرى، ممّا وسّع هوّةَ التّباعد التي تزادا بين أبناء اللّغة الواحدة يوما بعد يوم.

7ـ 2ـ الانعكاس الإيجابي للعولمة على اللغة العربية

أسهمت العولمة التجارية والثقافية والتّقنية في انفتاح العالم وسهولة التواصل البشري عن طريق الإمكانات التكنولوجية المبهرة التي تعتمد على الأنترنت، فصار تسويقُ السّلع والبضائع أمرا يسيرا، وتحولت التجارة عن نمطها الكلاسيكي وانتقلت إلى التجارة الإلكترونية، ومثلُ ذلك حصل في نشر الثقافة والفكر، إذ بالإمكان الترويج للّغة العربية من خلال عرض المنتج المادي أو الفكري، وتوسيع دائرة استخدام اللغة العربية؛ التي عادةً ما يربطها البعضُ بأمور الدين والعبادة فقط، ويمكن لأهل الاختصاص استغلال الوسائط المتاحة للترويج للّغة وتبسيط تعليمها لغير الناطقين بها عن طريق البرامج الحوارية المرئية والمسموعة، وربط الصوت بالصورة لتعليم تقنيات التلفظ، إذْ أصبح بالإمكان استغلال خاصية الترجمة المباشرة عبرَ البرامج المخصصة لذلك في الهواتف الذكية أو على شاشات الحواسيب، ولهذه الأجهزة دورها في التعريف بمكانة اللغة العربية وفضائلها المتعددة، والترويج للحرف العربي الأصيل، والمتتبع للمستجدات التقنية العالمية يستبشر خيرا حين يرى استخدام اللغة العربية على غلاف المنتجات وعلى صفحات الكتب والمجلات غير العربية، وفي يافطات العرض وواجهات المحلات، بل قد أحسنَ الآخرون إلى العربية من حيث لا يشعرون؛ حين يستهدفون العمل التجاري ويستخدمون الحرف العربي.

هذه بعض المكاسب التي أصبح بالإمكان الحفاظ عليها والسعي لترقيتها من خلال الشّعور بالمسؤولية تجاه لغة القرآن، وتكليف أهل الاختصاص من اللغويين بمتابعة استغلال وسائل العولمة في النّشر والترويج للّغة العربية حفاظا على قدسيتها ومكانتها المرموقة.

8ـ استشراف الآفاق المستقبلية للغة العربية

إنَّه بالنظر إلى انحسار الفرانكفونية في صراعها مع الأقطاب الأخرى وخاصة الأنجلوفونية، وتحرر معظم الأقطار العربية وتخلص بعضها من التبعية إلى المستعمر الذي فرض لغته على مستعمراته أزمنة، وشجع حملات التشويه الممنهجة من طرف المبشّرين والمستشرقين، وسخَّرَ أذنابه النّجسة للترويج للغتِه واحتقار لغتهم وإضعافها، وفي ظل تنامي الحسِّ القومي وشعور المواطن العربي بمسؤوليته في ترقية لغته، وعدم الاستحياء بالنطق بها خاصة في المحافل الدولية ـ فخطاب الرئيس الجزائري في جمعية الأمم المتحدة باللغة العربية 10أفريل 1974، وغيره يعد أنموذجا لذلك ــ إضافة إلى حسن التعامل مع العولمة التّقنية والثّقافية، ومن ذلك اختراع البرمجيات باللّغة العربية وغيرها، وإسناد الأمر إلى أهلِ الاختصاص، فقد تبوأ أبناء العرب مناصب مرموقة في كبرى الشركات العالمية التي لها من صدى التأثير ما يحمل على الترويج للّغة والارتقاء بها حيث قُدِّرَ لها أنْ تكون، كلُّها عوامل مساعدة على تجاوز الانحسار اللغوي الذي شهدتهُ اللّغة العربية، فالمستقبل للّغة العربية إذا أسهمَ أبناؤها كلٌ في ميدان اختصاصه، وخاصة إذا توفرت الإرادة السّياسية في تهيئة الظّروف الملائمة لخدمة اللّغة العربية وترقيتها، وما الملتقياتُ الجامعة والنّدوات المفتوحة للمشاركين في البحث اللّغوي والمعجمي والترجمة ـ على اختلاف مشاربهم ـ إلا سبيل ناجعٌ لتوحيد الجهود في الأخذ بيد اللّغة لتتبوأ المكانة التي تليق بمقامها .

9. خاتمة

حاولت الدراسة إبراز مكانة اللغة العربية باعتبارها لغة أمّةٍ؛ وحّدَ القرآنُ منهجَها وتوجهَها ولسانَها، بعد أنْ كانت قبائلَ متناحرةً، وجعلها خيرَ أمّة أُخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ووسيلتُها هذه اللغة الخالدة عبر الأزمنة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

* اللغةُ أرقى ما يملكه الإنسان، وهي عامل مؤثر في بناء الحضارة الإنسانية، لأنَّ الحضارة تُبنى انطلاقا من الوعي بالتراث ووعي الإنسان ورقي تفكيره، واللغة حاملة كل ذلك .

* شكّلت اللغةُ أحدَ أهم الأهداف التي ركز عليها المستعمر الغربي أثناء الاحتلال وبعده، لأنها أهم مقومات الأمة والنسيج الضام للوحدة، واختراق اللغة والتشكيك في قدرتها على تحقيق التواصل سلاحٌ لم يغفلْه أيُّ مستعمر.

* سعتِ الفرانكفونيّة جهدَها بعد تحرر الأقطار العربية إلى احتواء المستعمرات القديمة عن طريق الاختراق اللغوي عن بعد .

* أظهرت الوقائع التاريخية من خلال ممارسات الفرانكفونيين سعيَ فرنسا لفرض الاستعمار الثقافي على البلدان الضعيفة وخاصة دول المغرب العربي، لتحقيق الغايات الاقتصادية.

* تستغل الفرانكفونيّة كل عوامل تقويض اللغات من الداخل فتثير نعرات الجهوية والخلاف من خلال تحريك اللهجات المحلية ودعمها.

* أسهمت العولمة في انتشار اللّغة العربية عن طريق البرمجيات واستغلال التّقنية في الإشهار للمنتج المادي والفكري، مع التنبيه إلى خطورة العولمة في الترويج للغةِ الاقتصاد على حساب اللّغة العربية وغيرها.

* إن الأنجلوفونية استغلَّت القوّة الاقتصادية والعسكرية في السيطرة العالم، وفرض اللّغة الإنجليزية لغة عالمية .

* لا يظهر للعلن الصراع (الفرنكفوني/ أنجلوفوني) لكنّه حقيقة واقعة تظهر ملامحه في المحافل العالمية والمنابر السياسية .

* من عوامل رقي اللّغة وعالميتها القوّة الاقتصادية والعسكرية (الإنجليزية أنموذجا) وعليه يتطلب الأمر من الدّول العربية استغلال قدراتها الاقتصادية الممكنة كآلية أخرى مساعدة على توسع رقعة اللّغة العربية وترقيتها، وقد استغلت دولة قطر الشقيقة المناسبة الرياضية العالمية التي ستقام على أراضيها للمطالبة باعتماد اللغة العربية لغة رسميّة في الاتحاد الدولي لكرة القدم.

* عالمية اللغة العربية تعود إلى قدرتها على حمل رسالة القرآن الخالدة، إضافة إلى تنوع جذورها اللّغوية وغنى قاموسها وقدرتها على الاشتقاق، ومواكبة التحولات المختلفة في كل عصر .

* قُـدِّر للّغة العربية أن تلاقي الصعاب منذ تحمُّلها رسالة القرآن إلى اليوم في صراعها مع الاستعمار العسكري والثقافي والاقتصادي، لكنّها تواجه الصّدمات بثبات مستعينة بخصوصياتها الربّانية .

* يمكنُ للهيئات النّظامية والأفراد كلٌ في مجال اختصاصه ومسؤوليته الإسهامُ الفاعلُ في رقي اللّغة العربية من خلال احترامها محلّيا، والتّرويج لها في المحافل المختلفة عالميا وإقليميا (المراسلات الرسمية، الخطابات، التّصريحات، التّعامل، المبادرات...).

قائمة المصادر والمراجع

1ـ ابن جني، **الخصائص**، تح محمد علي النجار، ج1، مصر، دار الكتب المصرية.

2 ـ الشويري، يوسف (2011) **الفرنكفونية إيديولوجيا**. سياسات. تحدٍ ثقافي لغوي (المقدمة) مركز دار الوحدة العربية،ط1.

3 ـ الطبال، فاطمة بركة (1993) **النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون ـ دراسة ونصوص**، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

4 ـ القوصي، محمد عبد الشافي (2016) **عبقرية اللغة العربية**، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

5 ـ المعتوق، أحمد محمد (1996) :**الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها ووسائل تنميتها**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

6 ـ النمري، عمر (1423ه) **الفرنكفونية استعمار أم استخراب؟** مجلة البيان، ع 178.

7 ـ جاسم، علي جاسم (2016) **عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات الأخرى قراءة ناقدة في تقسيم** اللغات، جامعة بسكرة، مجلة المخبر، ع12.

8 ـ خضر، سعاد محمد (د ت) **الأدب الجزائري المعاصر**، صيدا، المكتبة العصرية، د ط، لبنان.

9 ـ فلوح، أحمد (2020) **اللغة والتعليم والتنمية**، المركز الجامعي غليزان، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، مجلد4، ع 01.

10 ـ لعموري، عليش (2005) **دور المنهج أو الطريقة في تعليم اللغة**، بوزريعة، مجلة العربي، مخبر تعليم اللغة العربية بالمدرسة العليا للأساتذة، ع2.

11 ـ واعلي، بوجمعة (2017) **الفرنكفونية انفتاح لغوي أم استعمار ثقافي بأبعاد سياسية واقتصادية**،سعيدة، مجلة الإشعاع، ع9.